

إنداحتْ قِطْعَةُ حَرِيرِيَّةٍ لَامِعَةٍ السَّوَادِ، بِسَطَّتْهَا فِي مَوَاجِهَتِي مُمَسِّكَةً بِهَا مِنْ مَوْضِعِ الْمَنْكِبَيْنِ، يَتَوَسَّطُ صَدْرَهَا (بروش) فضي هلالِي
 الشَّكْلُ مَرْصُوعٌ بِأَحْجَارٍ مِنَ الْفَيْرُوزِ، وَتَمْتَدُّ أَسْفَلُهُ عَلَى شَكْلِ مِرْوَحَةٍ يَدَوِيَّةٍ مَقْلُوبَةٍ قِطْعَةً (دانتييل) فَاحِرَةً، حَيْكَتْ عَلَى شَكْلِ كَسْرَاتٍ،
 فَقَدْ رَأَيْتُ وَزْنِي كَثِيرًا مَعَ الْحَمْلِ كَمَا تَرَيْنَ، أَنَّهُ قَدْ تَنَاسَبَكَ أَرْجُو أَنْ تَقْبَلِيهَا مِنِّي. قَالَتْ جَمَلَتَهَا تِلْكَ وَابْتَسَمَتْ وَهِيَ تُرَبِّتُ عَلَى يَدِي
 الْقَابِضَةِ عَلَى الْعَبَاءِ، فَبَادَلَتَهَا الْابْتِسَامَةَ وَشَكَرَتَهَا، أَوَّلُ مَا فَعَلْتُهُ حِينَ أَغْلَقْتُ بَابَ غُرْفَتِي عَلَيَّ هُوَ أَنَّنِي قُمْتُ بِتَجَرُّبَتِهَا، شَهَقْتُ حِينَ
 وَقَعَ بَصَرِي عَلَى الْعِكَاسِ صَوْرَتِي فِي الْمِرْآةِ لَكَّأَنَّهَا فُصِّلَتْ لِي ذُرْتُ حَوْلَ نَفْسِي مَزْهُوَةً بِجَمَالِ مَظْهَرِي الْجَدِيدِ، وَقَدْ أَطْرَتُ أَطْرَافَهَا
 بِقِطْعَةٍ (الدانتييل) نَفْسِهَا، وَرُضِعَتْ إِحْدَى زَوَايَاهَا بِ (البروش) الْقِصْنِيِّ نَفْسِهِ الَّذِي تَوَسَّطَ صَدْرَ الْعَبَاءِ، لِأَلْقِي نَظْرَةً عَلَى
 الْمِرْآةِ، جَحَظْتُ عَيْنَايَ حِينَ لَمَحْتُ طَرَفَ حِدَاءٍ (التنيس) الْأَبْيَضِ يُطِلُّ كَجُرْدٍ سَمِينٍ مِنْ تَحْتِ الْعَبَاءِ، وَهَرَعْتُ إِلَى صَفٍّ مِنَ الْأَحْذِيَةِ
 خَلْفَ الْبَابِ، سَوَى أَحْذِيَةٍ خَفِيفَةٍ مِنْ ذَلِكَ الصَّنْفِ الَّذِي تَرْتَدِيهِ الْمَرْضَاتُ، أَنَا فَتَاةٌ لَا تُحْسِنُ الْاهْتِمَامَ بِمَظْهَرِهَا لَكِنَّ هَذَا سَيَنْغَيِّرُ مِنْ
 الْآنَ، وَيَجْدُرُ بِي أَلَّا أَتَعَجَّلَ ارْتِدَاءَ هَذِهِ الْقِطْعَةِ الْفَنِيَّةِ حَتَّى أَتَمَكِّنَ مِنْ جَمْعِ الْكَمَالِيَّاتِ الْمُلَائِمَةِ لَهَا. عَدْتُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ عُدْتُ أَحْمِلُ عُلْبَةَ حِدَاءٍ
 جَدِيدٍ، وَبِسُرْعَةٍ الْبَرَقِ أَخْرَجْتُ الْعَبَاءَ مِنْ كَيْسِهَا الْمَخْبُوءِ بِعُنَايَةٍ فِي ثَمِّ تَنَاوَلْتُ الْحِدَاءَ الْجَدِيدَ مِنْ عُلْبَتِهِ، وَدَسَسْتُهُ بِكُلِّ رَفْقٍ فِي
 قَدَمِي، ابْتَسَمْتُ قَانِعَةً بِاخْتِيَارِي الْمَوْفِقِ، فَقَدْ بَدَأَ الْحِدَاءُ الْأَسْوَدُ ذُو الرِّبْطَةِ الْفُضْيَةِ مُتَنَاسِقًا وَتَصْنِيمٍ الْعَبَاءِ. وَرَأْسِي يَتَلَفَّتُ إِلَى
 الْمِرْآةِ، ضَغَطُ الْحِدَاءِ عَلَى قَدَمِي، إِلَّا أَنَّنِي أَقْنَعْتُ نَفْسِي بِأَنَّهَا مَسْأَلَةٌ سَاعَتَادُهَا كَوْنِي لَا أَحْبُذُ ارْتِدَاءَ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْأَحْذِيَةِ الْعَالِيَةِ. وَأَنَا
 أَحْفَظُ الْحِدَاءَ إِلَى جَانِبِ الْعَبَاءِ فِي الرُّكْنِ الْأَسْفَلِ مِنَ الدُّوَلَابِ. مَا بَقِيَ مِنْ رَاتِبِي ثَمَنًا لِهَذَا الْحِدَاءِ، مُتَعَلِّةٌ بِالْأَيَّامِ الْخَمْسَةِ الْمُتَبَقِّيَةِ
 عَلَى انْتِهَاءِ بَعْدِ أُسْبُوعٍ وَلَجْتُ إِلَى غُرْفَتِي، أَلْقَيْتُ بِهِ عَلَى السَّرِيرِ، وَعَمَدْتُ إِلَى دَوْلَابِي، أَسْتَخْرِجُ مِنْهُ الْعَبَاءَ وَالْحِدَاءَ، فَقَدْ عَمِلْتُ طِيلَةَ
 الْفَتْرِ الْمُنْصَرِمَةِ عَلَى تَجْمِيعِ وَكَأَنَّهَا أُحْجِيَةُ الصُّورَةِ الْمُقَطَّعَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيَّ أَنْ أُعِيدَ تَرْتِيبُهَا، لِأَجْلِ الْعَبَاءِ صِيحْتُ وَأَنَا أَتَمَلَّى
 مَظْهَرِي فِي الْمِرْآةِ: «أَيُّ تَنَاغُمٍ هَذَا؟! لَمْ أَكُنْ أَحْلُمُ بِالْعُثُورِ عَلَى حَقِيبَةٍ تَنَاسِبُهَا إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ!». كَانَتْ الْحَقِيبَةُ مَخْمَلِيَّةٌ سَوْدَاءُ
 بِكَسْرَاتٍ، زُمْتُ مِنْتَصِفُهَا بِهَلَالِ فَضِي. بِاقْتِنَاءِ هَذِهِ الْحَقِيبَةِ أَكُونُ شَبَّةً مُسْتَعِدَّةً لِلخُرُوجِ إِلَى النَّاسِ بِحِلَّتِي الْجَدِيدَةِ. وَأَصَابِعِي تَتَخَلَّلُ
 خُصْلَ شَعْرِي الذَّهَبِيِّ الْمُجْعَدَةِ، وَأَخَذْتُ أَنْزَعُ مُقْتِنَايَ الثَّمِينَةَ، وَأَعِيدُهَا بِحِرْصٍ إِلَى مَخْبِئَتِهَا فِي الدُّوَلَابِ. فَقَدْ عَمِلْتُ طِيلَةَ الْفَتْرِ
 الْمُنْصَرِمَةِ عَلَى تَجْمِيعِ وَكَأَنَّهَا أُحْجِيَةُ الصُّورَةِ الْمُقَطَّعَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيَّ أَنْ أُعِيدَ تَرْتِيبُهَا، رَبَّيْتُ خُصْلَ شَعْرِي الْأَسْوَدِ النَّاعِمِ فِي
 أَنْسِيَابٍ مَائِلٍ عَلَى وَضَعْتُ الْأَقْرَاطِ الْفُضْيَةِ الَّتِي اسْتَعَرْتُهَا مِنْ شَقِيقَتِي الْكُبْرَى، وَبَسَطْتُ ظِلَّ الْعُيُونِ الْفَيْرُوزِيِّ عَلَى جَفْنِي وَرَسَمْتُ
 خَطًّا فَضِيًّا أَسْفَلَ الْعَيْنَيْنِ. سَيَتَعَجَّبُ النَّاسُ مِنْ فَتَاةٍ مُتَأَلِّفَةٍ مِثْلِي فِي عِبَادَةِ حَقِيرَةٍ كَهَذِهِ. يَغْلُو نَوَاحِي كُلِّمَا وَمَضَ رَقْمُ الْعِبَادَةِ عَلَى
 شَاشَةِ هَاتِفِي الْمَحْمُولِ، يَتَوَسَّطُهَا خَرَقٌ تَفَحَّمَتْ أَطْرَافُهُ فِي حَجْمٍ مِكْوَاةٍ كَهَرَبَائِيَّةٍ